القيم الروحية والنهوض التنموي في فكر ابن خلدون مع الإشارة للتجربة الماليزية كأنموذج لمساهمة القيم في النهوض التنموي للمجتمعات المعاصرة).

د. عبد العزيز السلومي

أ. عمر حوتية

جامعة أدرار

يتفق المفكرون والمؤرخون من أمثال ابن خلدون على أن ضعف منظومة القيم الروحية والأخلاقية في المجتمع، يعدّ أهم سبب في وجود الأزمات وحصول تحديات تواجه الأمة في استعادة نهضتها المفقودة.

وإذا كانت أمتنا الاسلامية في الوقت الحاضر تبحث عن علاج لأمراضها، وتتلمس الأسباب لشق طريقها نحو النهوض التنموي، فإن ذلك يتطلب العودة الصادقة المخلصة لقيمنا الأصيلة المستمدة من الكتاب والسنة فنستمسك بها ونطبقها « فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (سورة الزخرف:43).

وقد ساهمت أفكار ابن خلدون في تعزيز مشاريع النهوض بالعالمين العربي والاسلامي، حيث تبنى المشروع التنموي الماليزي منهج الإسلام الحضاري في بلد مسلم متعدد الأعراق، وذلك بوضع خطط تنموية في ضوء القيم والتعاليم الإسلامية، وأنجزتها عقول وسواعد مسلمة، وحققت ماليزيا بالفعل نهضة شاملة في مختلف الميادين، مما جعلها تجربة رائدة يقتدى بها، وهذا ما يزيل كل

إحباط أو يأس كادا أن يحكما باستحالة استعادة الأمل في أي تقدم يحصل في العالمين العربي والإسلامي فإذا بالنموذج التنموي الماليزي يعيد هذا الأمل من جديد.

الكلمات المفتاحية: القيم الروحية في الاسلام، نظرية التنمية لابن خلدون، الحضارة والعمران، النهوض التنموي، النموذج الماليزي للتنمية.

إشكالية البحث:

بناء على ما سبق تتحدد معالم اشكالية البحث في محاولة استعراض أفكار ابن خلدون حول تصوره للنهوض الحضاري والتنموي، وإبراز مكانة القيم الروحية في تحقيق ذلك، ومدى تأثير القيم الروحية في الاسلام على فرص النهوض التنموي في العالمين العربي والاسلامي، على ضوء النجاح المحقق في الأنموذج الماليزي للتنمية.

أهمية البحث:

تأتي أهمية دراسة الفكر التنموي لابن خلدون وتصوره للنهوض الحضاري والتنموي، وإبرازه لمكانة القيم الروحية في تحقيق ذلك، في إمكانية فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة، وفرص التقدم والنهوض التنموي في العالم الاسلامي المعاصر، وحيث رجحت القيم الاسلامية التي تبنتها ماليزيا كأنموذج الكفة التنموية فيها. ومن ثم ضرورة أن تجمع النماذج التنموية البديلة بين المادة والروح بعد فشل معظم المحاولات التنموية السابقة.

أهداف البحث:

- إلقاء الضوء على أهم الآراء والمواقف التنموية للعلامة ابن خلدون وتصوره للنهوض الحضاري والتنموي.

- التأكيد على الدور الحضاري والريادي للقيم الإسلامية للتقدم والنهوض التنموي في العالم الاسلامي المعاصر.

- بيان حاجة الأمة الاسلامية للتمسك بالقيم وتفعيلها من أجل حل مشكلاتها المعاصرة وتعزيز جهودها التنموية.

- الاستفادة من التجربة االماليزية، حيث رجحت القيم الاسلامية التي تبنتها ماليزيا كأنموذج الكفة التنموية فيها.

منهج البحث :

يستخدم البحث منهجًا وصفيا تحليليا، دون إغفال للمنهج التاريخي في استعراض أفكار وآراء ابن خلدون حول الحضارة والعمران ومفهوم النهضة التنموية بكافة أبعادها والتطور الذي حدث لهذا المفهوم ومتضمنات القيم الروحية، ومنهج الاستنباط الديني التقليدي المتبع في الدراسات الدينية لاستنباط البصيرة الدينية في قضايا التنمية بكل أبعادها مع التركيز ومحاولة مقاربة المصطلحات الحديثة في قضايا التنمية والالفاظ التي وردت في النصوص القرآنية باعتباره المصدر الجامع لكافة المذاهب الإسلامية.

خطة البحث :

سنحاول التعرض لمضامين المشكلة البحثية، من خلال المحاور التالية:

أولا : الفكر التنموي ومفهوم الحضارة والعمران عند ابن خلدون.

ثانيا : القيم الروحية ومكانتها في نظرية التنمية لدى ابن خلدون.

ثالثا : منهج الإسلام الحضاري وتبني القيم الدينية للنهوض التنموي بماليزيا.

أولا: الفكر التنموي ومفهوم الحضارة والعمران عند ابن خلدون

اهتم ابن خلدون بقضية الحضارة والعمران وبيان أسبابها ومظاهرها، وأسباب اندثارها، وسنحاول تمحيص فكره في مجال التنمية وإعادة صياغته على ضوء المعطيات الجديدة في ظل فشل معظم التجارب التنموية بالدول الإسلامية، والمستقاة من تجارب شرقية وغربية دون النظر في تاريخها العريق وبما لديها من كنوز على رفوف المكتبات.

فلماذا يشكل الفكر التنموي ومفهوم الحضارة والعمران لدى العلامة بن خلدون كل هذا الاهتمام؟.

1- التعريف بالعلامة ابن خلدون (732-808هـ =1332-1406م):

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خالد (خلدون) الحضرمي الإشبيلي، مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي ينتهي نسبة إلى وائل بن حجر من عرب اليمن، ولد بتونس في أول رمضان عام 732 هـ الموافق ل 27 ماي 133م، درس على مشاهير علماء عصره القرآن وعلومه والتفسير والحديث والفقه والأصول، كما درس علم المنطق والفلسفة والرياضيات.[1]

عمل في بلاط بني مرين بفاس، ثم رحل إلى غرناطة ولقي التكريم من سلطانها محمد بن يوسف بن الأحمر، ثم أرسل إليه أبا عبد الله الحفصي أمير بجاية، وولاه الحجابة عام 766 ه، وبزوال سلطانه عاد إلى المغرب، قاصدًا التفرغ للتأليف ومعرضا عن السياسة وهمومها. كما عاش ابن خلدون في منطقة بسكرة بالجزائر مدة ست سنوات تعرف فيها على البيئة الصحراوية، وحياة البدو، وعاداتهم وقيمهم، وعاش في قصر قلعة ابن سلام بوهران زهاء أربع سنوات، كان فيها في شبه عزلة، حيث الهدوء والسكينة، والتفكير العميق في معارفه وتجاربه وحياته ومحاولة استخلاص العبر والقواعد وابتكار أفكار جديدة لم يسبقه إليها أحد، وضعها في مقدمة كتابه الشهير:

" العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" (*).

---

[1] البعلي فؤاد، **ابن خلدون رائد العلوم الاجتماعية والإنسانية**، دار المدى للدراسات والنشر، دمشق، سورية، 2006، ص22.

(*) احتوى الكتاب على سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه للفرنسية وغيرها. واشتهر ابن خلدون بالمقدمة، والتي تناولها المستشرقون الأوروبيون بالدراسة والتحليل ونشرت أول دراسة عام 1806على يد المستشرق

من قلعة ابن سلام عاد إلى تونس، وهناك قابله الحاكم، وأنزله في دار خاصة، وأجرى له راتبًا، فقام بتنقيح كتابه وتطويره وإهدائه للحاكم، وأخيرًا رحل إلى مصر بنية الحج، ومنها زار الحجاز والشام وأماكن أخرى، واستقر بها إلى أن توفي بها في 26 من شهر رمضان 808 ه الموافق 16 أفريل1406 .[1]

توفي العلامة ابن خلدون فتوارى الجسد، وبقي حياً بالفكر والذكر- رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه-.

لقد كان لتلك البيئات المختلفة دور كبير في تكوين فكر ابن خلدون، وتطوير نظراته في الحياة والتاريخ والتربية والاقتصاد، واستطاع أن يجري مقارنات دقيقة بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري، وأصبحت هذه الثنائية من أوضح ما يميز فكر ابن خلدون. ومن مؤلفاته القليلة : كتاب (لباب المحصل في أصول الدين)، وكتاب (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و(شفاء السائل لتهذيب المسائل).[2]

2- الفكر التنموي لابن خلدون :

تطور مفهوم التنمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن(*)، وشكل: حصيلة تفاعلات سياسية واقتصادية واجتماعية وإدارية متداخلة ومستمرة تشكل كل منها، وبدرجة متفاوتة، عاملا مستقلا وتابعًا في آن واحد [1].

الفرنسي سلفستر دي ساسي (Silvister De Sacy). أما أول الدراسات العربية التي تناولت المقدمة فكانت للمصري طه حسين.

[1] الطيب داودي، "المنهج العلمي في التحليل الاقتصادي الخلدوني "، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (27) - العدد الرابع، 2011 ، ص46.

[2] الزركلي، خير الدين بن محمود بن بن محمد، **الأعلام**، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، أيار/مايو 2002م، ص 330.

(*) تطور المفهوم الحديث للتنمية مع تطور البعد البشري في الفكر الاقتصادي السائد، فبعد أن اهتم بمسائل الرفاه الاجتماعي، انتقل خلال الستينيات من القرن الماضي للاهتمام بالتعليم والتدريب، ثم للتركيز على تخفيف حدة الفقر وتأمين الحاجيات الأساسية للبشر خلال

وتحتل مسألة التنمية بمفهومها المعاصر حيزًا مهمًا من المقدمة أوضحها ابن خلدون بجلاء عبر ربط المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في التاريخ، وأرساها كعلم باسم العمران.

2-1- لماذ الفكر التنموي لابن خلدون بعد أكثر من ستة قرون:

تأتي أهمية دراسة الفكر التنموي لابن خلدون لفهم وتفسير الظواهر الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة في البلدان النامية، حيث أن البيئات الاجتماعية والاقتصادية التي تعامل معها ابن خلدون، ما تزال موجودة بالدول النامية وخصوصًا الدول الإسلامية، بهذه الدرجة أو تلك، وهو إن كان لم يشر إلى ما يعرف في وقتنا بنظرية التنمية، وهو مفهوم حديث لم يستخدم إلا بعد أربعينيات القرن العشرين، إلا أنه وضع معالم وأسس تلك النظرية.

فلقد أكد ابن خلدون العالم المسلم ومن خلال أفكاره ونظرياته الاقتصادية المبتكرة، أنه ابن مجتمعه وثقافته الإسلامية، وأرسى في المقدمة منظورا عمرانيا (تنمويا بالمفهوم الحديث) في لحظة تاريخية لم تكن تسعفها ثورات معرفية كما حصل اليوم، ولم تكن لفكرة العمران أي أهمية في عصره أو بالأحرى لم يستشعروا لها موضوعا، في حين أكسبها النسق المعرفي الحديث أهمية جعلتها أشبه بنظرية معاصرة جديدة، انبثقت في غير زمانها، وشكلت مصدرا وموردا لأغلب الباحثين الاقتصاديين بعده.

ويمكن الجزم بأن المفاهيم التي تناولها ابن خلدون في مقدمته لا تزال تمثل أساسًا للعديد من النظر يات التنموية المعاصرة المعتمدة في تصنيفات الأمم

السبعينات. وتم التركيز خلال الثمانينات على سياسات التكييف الهيكلي لصندوق النقد الدولي. ومنذ تسعينيات القرن الماضي أدخلت الأمم المتحدة مفاهيم جديدة للتنمية تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والفكرية والسياسية والقيمية والثقافية والبيئية، ومنها: التنمية الشاملة، التنمية البشرية والتنمية المستدامة...الخ.

[1] محمد صادق، **إدارة التنمية وطموحات التنمية**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، عمان، الأردن، 1983، ص20.

المتحدة وغيرها من الدراسات، ويمكن التأكيد على أهميتها كقاعدة علمية متينة لتفسير الواقع التنموي للدول العربية، وتمهد بشكل أكثر ملاءمة لاقتراح بدائل تنموية.

2-2- نظرية ابن خلدون في العمران:

شكل مفهوم **العمران** عند ابن خلدون أحد الثوابت الأساسية في الفكر الخلدوني، وأوضح بأن العمران يمثل مستوى التنمية التي تتألف من مجموعة من المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والفيزيائية، وأكد شمولية مفهوم العمران عندما قال: " إن الاجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه".[1]

تتلخص **نظرية ابن خلدون** في العمران بالعناصر الآتية:

الإنسان مدني بطبعه: لذلك لا بد من أن يصنع مجتمعًا يسوده التعاون لإنتاج قوت يهيئ له العيش والأدوات التي تهيئ له أسباب الدفاع عن حياته، وإلا انتفى وجوده ولم يحقق مراد الله في إعمار الكون الذي استخلفه فيه.

أصل العمران: إن العمران البدوي هو أصل العمران الحضري، ولكل من المجتمعين ألوان من العادات والسلوك وأنماط حياة تفرضها طبيعة كل منهما، وهي أكثر قابلية للتطور في المجتمع الحضري.

العمران والصنائع، فالعمران لا يتم ويرتقي إلا بوجود صنائع متمثلة في الفلاحة والصناعة والتجارة، فعليها يتوقف رخاء المجتمع ورفاهيته، وكلما ارتقت الصناعة، وراجت التجارة، وعم الرخاء وانتعش الاقتصاد كان لذلك أثر في رفاهية المجتمع ورقيه وبلوغه مراحل الترف والنعيم.

العلم والتعليم: أمران أساسيان مرتبطان بالعمران إيجابًا أو سلبًا، فحيث يزدهر العمران تنشط سوق العلم، وإذا انعدم العلم في المجتمع صارت الرحلة في طلبه أمرًا ضروريًا، وحيثما ازدهر العلم يرتقي العمران، والعكس صحيح.

---

[1] ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: الدرويش عبد الله، ج 1، دار يعرب، دمشق، 2004، ص501.

مواقع المدن : إن حسن اختيار مواقع المدن والأمصار ضروري لاستدامة العمران، وذلك من حيث المنعة وسهولة الدفاع عنها، ومن حيث توافر الخيرات وكثرة الأرزاق كالقرب من الماء العذب، وضمان المراعي للسائمة ومراعاة وجود المزارع حولها لتزويدها بأنواع الطعام[1].

ضرورة العمران: للحفاظ على المجتمع وتنظيم شؤونه وحماية الثغور، وبعث البعوث، وجباية الأموال، ودفع الظلم، ونشر العدل، وعمارة الأرض، وإسعاد الناس في دنياهم وتهيئة ما يسعد آخرتهم وذلك بحملهم على اتباع الشريعة.

التاريخ خبر: التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو العمران البشري ومن ثم فإن تنقيته من الزيف،

وتصويب أحداثه يشكلان المنطلق الأول لتصور العمران البشري، ولذلك وضع ابن خلدون منهجاً لكتابة التاريخ

ولتصحيح أحداثه وأخباره، يقوم على الجرح والتعديل والتحليل واستنطاق الأحداث للوصول لصواب الاستنتاج.

الملك والعصبية: العصبية تؤدي إلى المنعة، والغلبة تسمو إلى الرياسة، والرياسة تبعث على التطلع إلى الملك، ومن ثم فإن الملك لا يقوم أصلاً بغير العصبية، ويظل قوياً بقوتها، ويضعف بضعها.[2]

[1] محمد يسار عابدين، عماد المصري، " الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون دراسة تحليلية مقارنة للاتجاهات النظرية المفسرة لعملية التنمية الحضرية ولدراسة مؤشر تطور التنمية مع الزمن "، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 25 -العدد الأول، 2009، ص46.

[2] سهيلة زين العابدين، نظرية الدولة عند ابن خلدون، متاح على الموقع : http://islamstory.com/ar.

وهكذا نجد بأن ابن خلدون أرسى منظورا عمرانيا في لحظة تاريخية لم تكن تسعفها ثورات معرفية كما حصل اليوم، وظل الفكر الخلدوني يتيما وغريبا لم يسعفه النسق المعرفي، وظل إشارات مبهمة لم يستبصرها أهل زمانه ولم يلتفتوا إليها، وهم قد يكونون معذورين في ذلك، حتى استطاعت الثورة المعرفية المعاصرة أن تصل إلى تلك الأفكار التي أكدت على أن ابن خلدون في حدود نظرية العمران كان سابق عصره.

2-3- الفكر البيئي عند ابن خلدون:

ينتشر حاليا مفهوم التنمية المستدامة، والتي تعرف على أنها:"التنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة بدون المساس بحقوق الأجيال القادمة في الوفاء باحتياجاتهم".[1]

وهي تنمية بثلاثة أبعاد متكاملة ومترابطة، تشكل ركائزها، وهي[2]: البعد الاقتصادي، الاجتماعي والبعد البيئي. فقد شكل مؤتمر قمة الأرض (14 جوان 1992 بريو ديجانيرو) بالبرازيل فرصة للاتفاق بين دول العالم على خطة مفصلة لتحقيق التنمية المستدامة، من شأنها أن تستجيب لأهداف البيئة والتنمية للقرن 21 [3]. حيث تمثّل الحماية البيئية جزءًا لا يتجزأ من عملية التنمية ولا يمكن التفكير فيها بمعزل عنها.

ويعد ابن خلدون من أوائل من تناول البيئة بالدراسة والتحليل وربط تأثيرها في حياة البشر وألوانهم وصحتهم وحضاراتهم واجتماعهم، ويعود سبب تعمقه في المفهوم البيئي إلى تكوينه المعرفي الناتج عن تنقله وتقلبه في العيش

[1] Emmanuelle Reynaud, Le développement durable, Revue Française de Gestion, n° 152(septembre / octobre 2004), p.118.

[2] ابراهيم سليمان مهنا، **التحضر وهيمنة المدن الرئيسية في الدول العربية: أبعاد وآثار على التنمية المستدامة**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص.22.

[3] Jean ,Marie Harribey, **le développement soutenable**,Economica, Paris ,1998, P8 .

بين بلدان كثيرة تختلف في بيئاتها، ويعد ابن خلدون من أوائل مدوني أثر التلوث البيئي في المجتمعات الحضرية.

كما تنبه ابن خلدون إلى مشكلة تلوث البيئة باعتباره عدوًا وآفة داخلية للمدن في تلك المرحلة التي كانت الحياة فيها بسيطة جدًا، ولم يستخدم بعد فيها الإنسان الآلة، ولا البترول ولا المنتجات الكيماوية، وفي هذا يقول: " ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدًا خبيثًا،

أو مجاورًا للمياه الفاسدة أو مناقع متعفنة أو مروجًا خبيثة أسرع إليه العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة، وهذا مشاهد"، ويستشهد على ذلك بأمراض شائعة في بعض المدن التي زارها وأقام فيها.

واستخدم ابن خلدون مصطلح" **فساد الهواء** "لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة، وهو ما يعبر عنه بالتلوث ويربطه بكثرة نمو العمران وتلاصقه، بما يجعل من تراكم الأوساخ أمرًا منطقيًا نظرًا لغياب فراغات مخصصة لذلك وفاصلة بين المنازل ومواقع العمل وبقية الأنشطة الضرورية للحياة الاجتماعية، بما يجعل نقل العدوى يتم بصورة سريعة، لذلك يرى أنه من الحكمة خلق مساحات تفصل بين مناطق العمران وحتى بين المساكن.[1]

2-4- نظرية التنمية عند ابن خلدون :

إن نظريات ابن خلدون الاقتصادية والتنموية تضعه وبجدارة إلى جانب المدرسة الكلاسيكية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، عندما ازدهرت الأفكار الاقتصادية في أوروبا والتي تجمعت عدة مؤثرات في ازدهارها منها نمو المدن، وتزايد الثروة وتقدم العلوم وهي مؤثرات عرفتها حقبة ما قبل عصر ابن خلدون وخلالها.

[1] ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: الدرويش عبد الله، ج 2، دار يعرب، دمشق، 2004، ص27.

ولإثبات شمولية مقدمة ابن خلدون لعدد من المفاهيم والمؤشرات التنموية المهمة التي تستخدمها الدراسات الحديثة:

- كانت مفاهيم ابن خلدون عن العمران، والعمارة، والمدينة، والبيئة، والدولة، من الوضوح والملاءمة لدرجة أنها لا تزال تتناسب إلى الآن مع واقع الدول المتخلفة وتفسر النتائج بدقة أكثر من النظريات والمفاهيم المعاصرة.

- الإنسان كان محور عملية التنمية في فكر ابن خلدون، وأن الاجتماع الإنساني هو عمران العالم، وما ينشأ عن ذلك من دول، واشترط صلاح الإدارة، وتوافر الأمن والأمان لحصول أي تنمية.

- تبدأ عملية التنمية عند ابن خلدون من أدنى مستوى في تأمين الكفاية، لتنتهي بأعلى مستو لها بالكماليات والرفاهية، وفق شروط من النشاط الاقتصادي، ونظريات القيمة، وتوزع السكان وتكافلهم، وتوفر مقومات العمران، في ظل سياسات تنموية حكيمة وإدارة عادلة تحفظ للمواطنين حقوقهم.

- ربط ابن خلدون التنمية بقيام المدن من خلال علاقة طردية توافقية، وجعل من المدينة مكانًا تنمويًا متميزًا عن غيره من أماكن الدولة استنادًا إلى حجم المدينة السكاني.

- اعتمد ابن خلدون على صور من النشاط التي من خلالها تتحول أعمال السكان إلى قيم ومنتجات وعمران وتقدم، وجعل من الزراعة والتجارة والصناعة قاعدة للتنمية، وأضاف في مقدمته عددًا كبيرًا من المهن التي يمكن أن تصنف في قطاع الخدمات مثل :التعليم والصحة والبنى التحتية وغيرها.

- جعل ابن خلدون مفهوم تقسيم العمل والتخصص فيه، من أهم استراتيجيات التنمية، حيث يؤدي لزيادة الإنتاج، ومن ثم زيادة السكان، فيحدث تقسيم جديد للعمل، يعقبه زيادة في الإنتاج، وهكذا تتحقق التنمية.

- أشار ابن خلدون إلى أن عملية التنمية تتم من خلال نشاط وحراك اجتماعي مستند إلى تطلعات اقتصادية تحكمها إدارة، ويتعلق نجاح عملية التنمية أو تدهورها إلى مدى قوة هذه الإدارة وإلى حجم علمها وخبرتها.

3- قيام الحضارات وسقوطها عند ابن خلدون:

اهتم ابن خلدون بقضية الحضارة والعمران وبيان أسبابها ومظاهرها، وأسباب اندثارها، وهذت ما يبرز في المقدمة.

3-1- مفهوم الحضارة :

الحضارة في اللغة مأخوذة من الحضر وتعني الإقامة في الحضر، وتقابل حياة البداوة وما يطغى عليها من حياة رعي التنقل في البوادي والصحراء[1]. وقد عرف ابن خلدون لفظة الحضارة (المشتقة من الحضر) بأنها أحوال عادية زائدة عن الضروري من أحوال العمران وهي السكون والدعة ورقة الحاشية والتفنن في الترف واستجادة أحواله.

ويمكن القول بأن الحضارة هي حياة المجتمع المتمثلة في نظمه ومؤسساته ومكاسبه وإنجازاته وفي القيم والمعاني التي تنطوي هذه الحياة عليها. وهي كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلا وخُلقا، مادة وروحا فهي قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور والأزمان.[2]

ولكلّ حضارة جسم وروح كالإنسان تماماً، فجسم الحضارة يتمثّل في منجزاتها المادية من العمارات والمصانع والآلات، وكل ما ينبئ عن رفاهية العيش ومتاع الحياة الدنيا وزينتها (بمعنى المدنية)، أما روح الحضارة فهو مجموعة العقائد والمفاهيم والآداب والتقاليد التي تتجسّد في سلوك الأفراد

[1] إبراهيم العدوي ونايف عيد السهيل، **الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الشراع العربي، بيروت، 1994م، ص 8.

[2] إبراهيم العدوي ونايف عيد السهيل، مرجع سابق، ص.19.

والجماعات، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، ونظرتهم إلى الدين والحياة، والكون والإنسان، والفرد والمجتمع.[1]

وبالنسبة للكتاب والعلماء والمفكرون العرب المحْدَثون والمعاصرون، يستوقفنا مفهوم المفكر الجزائري مالك بن نبي - رحمة الله عليه- للحضارة في كتابه "في لهيب المعركة"، حيث يرى بأن الحضارة هي روح الشعب، وأنها الفيْصَل بين الإنسانية والبدائية، وأن مشكلة أي أمة إنما هي مشكلة حضارية.

لقد حدَّد مالك بن نبي مفهوم الحضارة من جوانبَ متعددةٍ. إذ عرفها من جانبها البنيوي الذاتي من خلال تِبيان مقوّماتها والعناصر الأساسية التي تتأسس عليها، مشيراً إلى أن مشكلتها لا تُحَلُّ إلا بالتغلُّب على الإشكالات التي تطرحها عناصرها وفقا للمعادلة التالية: حضارة = إنسان + تراب + وقت. [2]

وتترابط هذه العناصر فيما بينها لتحقيق الفعل الحضاري، وبإعادة صياغة معادلة الحضارة بإدخال المحرك الأساسي (العامل الديني)، تصبح: حضارة = (إنسان + تراب + وقت) × العامل الديني.

وانطلاقا من هذه المعادلة، يتضح لنا أن المنتج الحضاري لأي شعب من الشعوب هو المادة الأولى التي يقوم عليها استمراره وأمنه القومي، وبقدر ما يملك من طاقة بشرية فاعلة وإرادة طبيعية للبقاء وقدرة على تفاعل المنتج الحضاري وامتزاجه بعقيدة راسخة تضمن تماسكه ووفرة عطائه، وبقدر ما يكون منتجه الحضاري أكثر وفرة وأدعى إلى البقاء والتماسك سينعكس في تحقق الأمن والاستقرار، وبذلك يتحقق الاستثمار وينبني العمران ويعمر.

---

[1] يوسف القرضاوي، **الإسلام ..حضارة الغد**، مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995م، ص 15.

[2] مالك بن نبي، **شروط النهضة**، تر. عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 1996، ص45.

3-2- الحضارة الإسلامية وخصائصها:

الحضارة الإسلامية نتاجٌ لتفاعل ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام، سواء إيماناً أوتصديقاً أواعتقاداً أو انتماءً وولاءً وانتساباً، وهي خلاصةٌ لتلاقح هذه الثقافات والحضارات التي كانت قائمةً في المناطق التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية، ولانصهارها في بوتقة المبادئ والقيم والمُثُل التي جاء بها الإسلام هدايةً للناس كافة[1]،

فهي نشاط فكري إنساني تمت صياغته في إطار القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من العقيدة الإسلامية.[2]

ويمكن إجمال أهم الخصائص التي تميزت بها الحضارة الإسلامية عن غيرها فيما يلي:

1- إنها حضارة إيمانية انبثقت من العقيدة الإسلامية فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها، تتخذ من التوحيد والإيمان بالله ركيزة ومنطلقا لها، بهدف حماية كيانها واستمراريته بسياج منيع من القيّم الروحية والمثل الأخلاقية والمبادئ الفكرية[3]. فهي ذات منطلقات إيمانية ومرجعية دينية أدت إلى قيامها وإبداعها وازدهارها.

2- أنها حضارة إنسانية المنزع، عالمية، في آفاقها وامتداداتها تحتوي جميع الشعوب والأمم وتصل آثارها إلى مختلف البقاع والأصقاع يستظل بظلالها البشر جميعا ويجني ثمارها كل من يصل إليه عطاؤها.

---

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري، **خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،الرباط، 2002.

[2] إسماعيل أحمد ياغي، **أثر الحضارة الإسلامية في الغرب**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997/1418م، ص 14.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زغلول عبد الحميد، وأحمد العبادي، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، منشورات ذات السلاسل، الطبعة الثانية، الكويت، 1986م، ص19.

3- إنها معطاء أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الأخرى التي عرفتها الإنسانية وأعطت عطاء زاخرا بالعلم والمعرفة والفن الإنساني الراقي، وبقيم الخير والعدل والجمال والفضيلة.

4- إنها حضارة متوازنة وازنت بين الجانب الروحي والجانب المادي (الإعتدال). وهي سمة قررها القرآن الكريم: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا"(البقرة:143)، واستطاعت الحضارة الإسلامية أن تجمع وتوازن بين الوحي والوجود، والمادة والروح، والوحدة والتنوع والدنيا والآخرة.[1]

5- إنها حضارة تستمد بقاءها من الإسلام الذي قامت على أساس مبادئه فهي حضارة متجددة دائمة الإشعاع تتعاقب أطوارها وتتجدد دوراتها. فالإسلام دين ودعوة للناس كافة، وينفرد بذلك بين الأديان كافة.

3-3- مفهوم الحضارة وتطور الدولة عند ابن خلدون:

إن الحضارة في التصور الخلدوني، مرحلة طبيعية من عمر المجتمع البشري يصل إليها الإنسان حين تتجاوز مطالبُه الحياتية الضروري إلى ما فوقه من حاجيات وكماليات.[2]

فالمجتمع أو الدولة تمر بمراحلَ متعاقبة شبيهة بتلك التي يمر بها الأشخاص، ولها أعمارٌ طبيعية مثلهم، وعندما ينتهي عمرها تنهار مثل الأشخاص وأن انهيارها حتمي، ويرى أن العمر الطبيعي لأي دولة هو في حدود 120 سنة، ويتضمن ثلاثة أجيال كل جيل 40 سنة. ويمكن اختصارها في المراحل التالية:

[1] عماد الدين خليل، **مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية**، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2001م، ص407.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق : درويش الجويدي، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1999، ص115.

مرحلة التألق (الجيل الأول)، إذ تبتدئ بطور البداوة والخشونة وسيادة منطق العصبية وقوة الدولة.

مرحلة الازدهار (الجيل الثاني)، حيث يزداد عدد السكان وتزدهر المدن وتكثر الصناعات والحرف ويحصل انفراد.

الملك بالمجد وترف حضارة[1]، ففي أوج الدولة تصبح الحياة سهلة ويميل الحكام للمتعة واستغلال السلطة ويبتعدون تدريجيا عن الحياة الخشنة ويقل التمسك بالمبادئ الدينية والأخلاقية، وهكذا يؤدي الترف والإسراف في الدولة إلى الفساد السياسي والانحلال الاجتماعي، ومعها تفرض الضرائب الباهظة لتدعيم الهيئة الحاكمة وتبدأ بذور الانهيار.

مرحلة الضعف والانحلال والزوال (الجيل الثالث)، حيث الانفراد التام بالمجد والقضاء على العصبية واستبحار

في الترف والسكون فزوال البأس وضعف الحامية [2]، وتكثر الخلافات السياسية والتصارع على السلطة، وتتمزق

الدولة بفعل المؤامرات السياسية ويتدهور الاقتصاد ويقل الغذاء وتنتشر الأوبئة والحروب، وتتفكك شبكة العلاقات

الاجتماعية بانحلال المجتمع إلى ذرات لا روابط بينها وتنتهي بهذا دورة الحضارة.

---

[1] سفتيلانا باتسيفا، **العمران البشري في مقدمة ابن خلدون**، ترجمة: ابراهيم رضوان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1986، ص186.

[2] ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: الدرويش عبد الله، ج 1، دار يعرب، دمشق، 2004، ص232.

الشكل رقم (01): يوضح المسار الخاص بمستوى التنمية للدولة في نظرية ابن خلدون

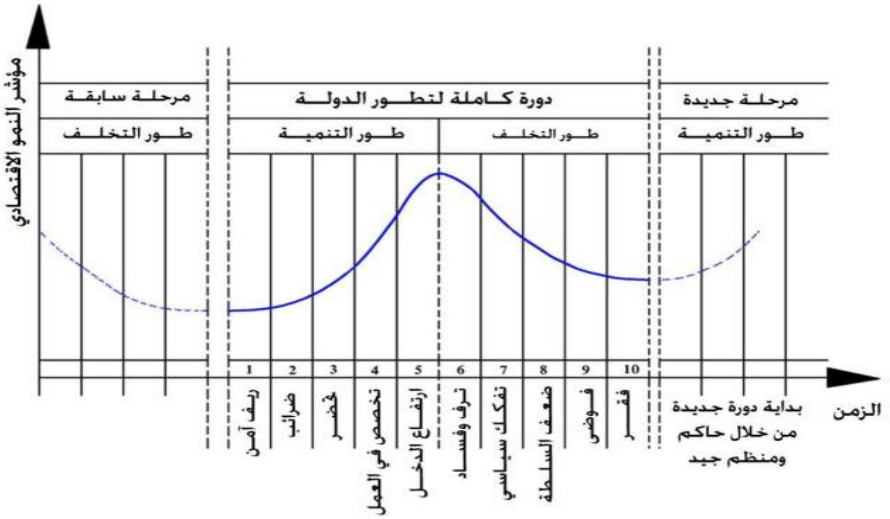

المصدر : محمد يسار عابدين، عماد المصري، الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون دراسة تحليلية مقارنة للاتجاهات النظرية المفسرة لعملية التنمية الحضرية ولدراسة مؤشر تطور التنمية مع الزمن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الخامس والعشرون -العدد الأول، 2009، ص33.

وبمقارنة نظرية ابن خلدون للتطور مع أهم النظريات العالمية (*)، يتضح بأن نظرية ابن خلدون لا تعد بعيدة أو غريبة في الشكل والمضمون رغم أنها تعود إلى ستة قرون. بل على العكس فإن المؤشرات التي اعتمدها ابن خلدون كانت أكثر شمولية من غيرها من الدراسات المقارنة، وهذا ما يندرج ضمن المفهوم الحالي (الشامل) للتنمية.

(*) من أهم النظريات العالمية في تفسير مؤشر تطور التنمية مع الزمن: نظرية آدم سميث A. Smith، ومالتس Maltess، وريكاردو Ricardo والنظرية الماركسية K. Mar التي كان لها تأثير في تكوين النظام الاشتراكي، ونظرية الاقتصادي روستو W. Rostow في شكل تطور المجتمعات.

وهنا يجب التأكيد أن لكل أمة خصوصيتها ونظرتها إلى الإنسان والحياة، وأن شخصيتها التاريخية الحضارية إنَّما تشكلت من خلال ذلك كله، وأن عمليات التنمية المأمولة يجب أن تأخذ بالحسبان تلك الخصوصية.

4- **أسباب قيام الحضارة والعمران عند ابن خلدون**:

تعود أسباب الحضارة والعمران عند ابن خلدون إلى ما يلي:

1- العوامل الطبيعية الجغرافية: إن للحضارة عند ابن خلدون سببًا طبيعيًّا جغرافيًّا، وهذا ما يظهر في المقدمة الثالثة ويعنونها ابن خلدون بعنوان: " في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم".[1]

2- الانتقال من البداوة إلى الحضر: وهي ثاني هذه العوامل التي تساعد في قيام الحضارة والعمران. فقد بين ابن خلدون أن أجيال البدو والحضر طبيعية، فاختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نِحْلَتِهِم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي.

3- وجود سياسة ينتظم بها أمر العمران: يرى ابن خلدون أن الاجتماع البشري ضروري، وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه، وحكمه فيهم: تارة يكون مستندًا إلى شرع منزل من عند الله يوجب

انقيادهم إليه إيمانُهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلِّغُه، وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم.

4- الثروة ودورها في الحضارة والعمران: المال عند ابن خلدون لا يعتمد على الحظ أو قراءة النجوم، أو وجود مناجم الذهب والفضة، وقد أكد أن

[1] وافي، علي عبد الواحد، **مقدمة ابن خلدون**، الطبعة السادسة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، إبريل 2012م، ص ص: 392-401.

الكسب والإنتاج والعمران لا يتحقق إلا بالعمل، فيقول: "فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب ومتمول، لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر، وإن كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن، فلا بد فيه من العمل الإنساني كما تراه، وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع".

5- العدل ودوره في العمران والحضارة: فقد أكد ابن خلدون على أهمية العدل في قيام الحضارات، فقد ذكر

عنصر الظلم - نقيض العدل - والاستبداد من الحاكم على المحكومين، الذي عقد له في المقدمة فصلا عنوانه: "الظلم مؤذن بخراب العمران".

وفي المقابل أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أسباب انهيار الحضارات وخراب العمران، ومن أهمها:

تغلب العرب على الأوطان(*)، الاستبداد بالملك وحصول الترف، الظلم مؤذن بخراب العمران، الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره ومؤذنة بفساده حيث التفنن في الترف واستجادة أحواله والكَلَف بالصنائع.

ثانيا: القيم الروحية ومكانتها في نظرية التنمية لدى ابن خلدون

كثيرا ما تعتمد استراتيجيات التنمية على الجوانب الاجتماعية والقيمية وسلوك الأفراد والجماعات في توطين التنمية ويؤكد المختصون على أهمية القيم الأخلاقية في تقدم الأمم ونهضتها، وغالبا ما تعود أسباب سقوطها إلى الانهيار في منظومة القيم الأخلاقية مثلما قرر ذلك ابن خلدون، فما مكانة القيم في فكر ابن خلدون؟.

(*) يستخدم ابن خلدون في معظم فصول المقدمة كلمة" العرب " بمعنى الأعراب أو سكان البادية الذين يعيشون خارج المدن ويشتغلون بمهنة الرعي، وخاصة رعي الإبل، ويتخذون الخيام مساكن لهم، ويظعنون من مكان إلى آخر حسب مقتضيات حياتهم وحاجات أنعامهم التي يتوقف معاشهم عليها، وهم المقابلون لأهل الحضر وسكان الأمصار. كما تدل على ذلك الحقائق نفسها التي عرضها ابن خلدون في الفصول التي وردت فيها هذه الكلمة (تعليق رقم 359 (لـ: وافي، علي عبد الواحد، مرجع سابق، ص469).

1- مفهوم القيم الدينية والروحية:

إصطلاحا تمثل القيم ضوابط ومعايير تقوم بها سلوكات الفرد وتصرفاته، ومن بين التعريفات: " القيم هي مثاليات تسود الأفراد وتتغلغل في نفوسهم ويتوارثها الأجيال ويدافعون عنها قدر الإمكان[1].

وعموما فإن القيم هي مجموع الاخلاق والفضائل التي يتعارف عليها الناس في محتمع معين وعلى ضوئها يحددون الحسن والقبيح من الافعال والسلوك والتصرفات... وتنقسم القيم الى: روحية وتتمثل في العبادة والدعاء والاخلاص والصدق والوفاء والتسامح والعدل والاصلاح...، ومادية تتجلى في تلبية حاجات الجسد من الأكل والشرب والسكن والعلاج والغرايز...فاذا تمسك الانسان بدينه وحرص على طهارة روحه سما وارتفع. وإن هو استجاب للمادة والشهوات خسر الدنيا والاخرة. وهم من شبههم الله تعالى بقوله : " أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ "(الأعراف: 179).

1-1- القيم الدينية والروحية في الاسلام:

إن ارتباط القيم بالدين ليس رغبة ذاتية أو أملا فلسفيا، إنما هو حقيقة واقعية[2]، فالدين هو مصدر القيم[3].

[1] إسماعيل عبد الفتاح الكافي، **موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 1426 هـ/ 2005 م، ص18.

[2] زعيمي مراد، النظرية العلم – اجتماعية (رؤية إسلامية)، أطروحة دكتوراه، معهد علم الاجتماع، جامعة قسنطينة،1997 ، ص227.

[3] محمد أحمد بيومي، **علم اجتماع القيم**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2002، ص182 .

والقيم هي موجهات السلوك، والدين مستودع القيم والمثل العليا ورافد من روافدها، ولذلك فإن القيم الدينية هي التي تحدد أنماط سلوك الفرد وتحركه باعتبارها مرجعا في الحكم على أفعاله، وإطارا لتحقيق تماسك المجتمع.[1]

والقيم التي نقصدها في هذا البحث هي المنظومة الأخلاقية ربانية المصدر. فما المقصود بالقيم الروحية في الاسلام؟

1-1-1- تعريف وخصائص القيم في الاسلام :

تعرف القيم الإسلامية بأنها " تلك القيم السامية التي تسمو بالإنسان وتأخذ بيده وترتقي بقدراته، وتضيء له السبيل، وتوجه عقله، وتحرره من الأنانية والذاتية، وتقوده نحو الفلاح في الدنيا والآخرة، إنها قيم روحية صالحة لكل زمان ومكان، لأنها نابعة من العلم المطلق الأزلي للخالق عز وجل" .[2]

ترتكز القيم الدينية والروحية في الاسلام على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم التي نؤجر على فعلها ونحاسب على التقصير فيما تتصدرها القيمة الكبرى وهي الإيمان بالله والتي تنبثق منها سائر القيم الأخرى، كالإخلاص والعدل والصدق والأمانة والسمع والطاعة والاحترام والصبر والجدية في العمل وتحمل المسئولية وحسن القول والعمل وحق التعامل والقدرة الحسنة والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيثار والرحمة والسماحة والرجوع إلى الحق والرفق والحلم والأناة ومحاسبة النفس

[1] نورهان منير حسن فهمي، **القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999 م، ص.17.

[2] حمد صالح الدعيج، عماد محمد سلامة، " أثر العولمة في القيم من وجهة نظر طلبة الجامعة الأردنية وجامعة الكويت" ، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد35 ، العدد 2007/03، ص 19 .

وتأديبها وقول الحق والتواضع والاحتساب والعفو والتناصح والتعاون والتشاور وحسن الظن وتنفيذ العهود والتضحية ...الخ .[1]

ولما كانت القيم الإسلامية إلهية المصدر فإن لها مجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من القيم، وهي:[2]

أ - الثبات: القيم الإسلامية ليست نسبية فهي لا ترتبط بالمصالح والأهواء الشخصية للأفراد.

ب- الشمولية: أي شاملة لجميع شؤون الحياة الإنسانية، وتنظم جميع علاقات الإنسان، بالله عزوجل والكون.

ج- الواقعية : تستجيب القيم الإسلامية للفطرة الإنسانية، وتحقق في مجموعها توازنا بين مطالب المادة والروح، وبين مطالب الفرد والمجتمع وبين مطالب الدنيا والآخرة، قال تعالى:" وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك " (القصص: 77).

د -الإتساق: فالقيم الإسلامية ترتبط ببعضها وتتفاعل فيما بينها، فالإيمان بالله يستلزم طلب العلم النافع، وقيم العلم النافع تعزز الإيمان بالله، والإيمان بالله يستلزم العمل الصالح، وتتساند جميع القيم في إطار العقيدة الواحدة.

وتجدر الإشارة إلى أن القيم الإسلامية من خلال الخصائص السابقة أنها قيم عليا وليست فقط قيم إيجابية.

---

[1] قيمنا الأخلاقية والتحديات، متاح على الموقع : faculty.sau.edu.sa/.../doc-3-docx-4cefe7c7083cf416b.

[2] عقل، محمود عطا حسين، **القيم السلوكية**، الطبعة الثانية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 2006، ص ص: 69 ،70.

1-1-2- تصنيف القيم الإسلامية:

وهناك عدة تصنيفات للقيم الإسلامية، وسنكتفي بالإشارة إلى تصنبف أبو العينين للقيم الإسلامية إلى :[1]

- قيم روحية وعقدية كقيم الإيمان بالله وقيم الجهاد في سبيله.
- قيم خلقية كقيم العدل وقيم الأمانة وقيم الصدق.
- قيم عقلية تتعلق بقيم المعرفة مثل قيم التفكير وقيم التخطيط.
- قيم وجدانية مثل قيم ضبط النفس وقيم الحب.
- قيم اجتماعية مثل قيم بر الوالدين وقيم الإحسان للجيران.
- قيم مادية مثل قيم ترشيد الاستهلاك وقيم الاعتناء بالجسم.
- قيم جمالية مثل قيم الجمال وقيم النظافة وقيم النظام.

1-2- تعريف القيم الروحية في الاسلام:

تعني القيم الروحية المبادئ التي تقوم سلوك الانسان، والتي يكتسبها من محيطه مثل التربية الاخلاقية الصحيحة والتنشئة الاجتماعية السليمة، ويأتي على رأس القيم الروحية التي يكتسبها الانسان التعاليم الدينية.

تخاطب القيم الروحية باطن الانسان وكيانه الداخلي وخاصة القلب والنفس . فبالنسبة للقلب قال تعالى : " مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (التغابن : 11) . وقوله صلى الله عليه وسلم " ... أَلا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإِذَا فَسَدَت فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهيَ القَلْبُ" (رواه البخاري ومسلم). فالقلب هو سلطان الحواس وبمقدوره توجيهها كلها نحو الخير او نحو الشر. وأما النفس فهي انواع ومن

[1] نفس المرجع، ص ص76 ، 77.

أخبثها الامارة بالسوء التي تزين لصاحبها الفاحشة وتدفعه الى المعصية قال تعالى:

"وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ " (يوسف: 53) .

ولا تستقيم هذه النفس الا بتربيتها على الفضائل وإبعاها عن الخبائث.

وتستند القيم الروحية في الاسلام الى القرآن والسنة باعتبارهما المصدرين الاساسين لكل خير في هذه الحياة. فكلاهما يحث المسلم على التراحم والتعاطف وإشاعة الخير وحسن معاملة الناس...، كما يمنحانه طاقات لا حد لها من أجل الحق والعدل والمحبة ... وقد جسد صلى الله عليه وسلم هذه القيم في حياته الخاصة والعامة. فكان يربي المسلمين على الفضائل ومكارم الاخلاق التي تلقاها من ربه. قال تعالى:"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(القلم:4).

وهناك مصادر اخرى للقيم أهمها ما ورد من ماثورات وخطب واشعار وقصص وسير الصالحين والمتقين.

فالقيم الروحية متعددة بتعدد اهتمامات الإنسان وحاجاته عبر أخلاق شرعية شمولية منها : التوبة والإخلاص والتوكل والصبر والشكر والرضا .....الخ.

ولا يمكن الفصل بين القيم الروحية الإسلامية، فقيمة الأخوة، وقيمة الأمانة، وقيمة العدل، وقيمة الصدق، وقيمة التعاون، وقيمة الإيثار، وقيمة البر، وقيمة العفة، وقيمة صلة الرحم، وقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيم إسلامية متداخلة مع بعضها البعض، كما تؤكده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية[1].

[1] صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، **موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم –**، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة، 1998، ص197.

2- علاقة التنمية بالقيم الإسلامية:

يرتكز النشاط الاقتصادي في الإسلام على مبادئ إنسانية، وأسس أخلاقية، وضوابط شرعية، تغرس في نفوس أتباعه الحرص على مزاولته وإتقانه في الإطار الذي يُسْهِم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

2-1- دور القِيَم الإسلامية في التنمية الاقتصادية:

انطلاقاً من أن الإسلام يعمل على إحالة سعي الإنسان كله في الدنيا إلى عبادة، فإن السعي التنموي يُعد صورة مخصوصة من صور العبادة، كما تؤكد فلسفة التنمية في الإسلام على أن التنمية الحقيقية تحدث نتيجة التفاعل الإيجابي بين البعد الإيماني وبين الأبعاد المختلفة للتنمية، وأن الفصل بينهما يؤدي إلى الخراب.

خاصة إذا علمنا أن الإسلام يدعم الأخلاق التنموية كإجادة العمل كما في قوله صلى الله عليه وسلم وعند البيهقي بسند حسن "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "، وكذلك التركيز كما في القران الكريم على عمارة الأرض عمارةً إسلامية خالية من الإفساد وذلك باستخلاف الإنسان فيها، كما في قولة تعالى " إني جاعل في الأرض خليفة " (البقرة: 30). وتحقيقًا لهذه الغاية الفريدة، فقد وضع الإسلام للنشاط الاقتصادي آدابًا وقِيَمًا تهدف إلى ربطه بالأخلاق الحميدة، مما يحقق له الفاعلية الإيجابية والحركة الصحيحة.

فلا بُدَّ من تلازم القِيَم الإيمانية مع التنمية الاقتصادية، لأن هذه الأخيرة ليست مطلوبة لذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق الرخاء والسعادة وإقامة الدنيا والدين، وإذا كان الاقتصاد الإسلامي يدعونا للعمل والاستثمار وتعمير الأرض، فهناك ضوابط دينية أخلاقية تحكمه، قال تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " (القصص: 77).

ومهمة القيم الإسلامية لا تنفك عن المنظور الشامل للتنمية والذي ظهر في العقود الأخيرة الماضية، بحيث لا تنحصر في بناء السلوك الفردي بقدر ما توجه وتربى كل الطاقات الفاعلة في ساحة التنمية.[1]

2-2- دور القيم الإسلامية في تحقيق التنمية الاجتماعية :

من أبرز ما يمكن أن تقدمه القيم الإسلامية لتكون أداة فاعلة في إحداث ودفع التنمية الاجتماعية:

1- أن تغرس وتنمي في الفرد روح المسؤولية الفردية، كأساس لروح المسؤولية الجماعية، وتهذيبه ليصبح مصدر خير وعطاء لمجتمعه.

2- أن تعتني بتنمية الروح الاجتماعية، وروح التعاون لدى الإنسان المسلم، حيث يصبح لديه اهتمام بشؤون مجتمعه، والاستعداد للتضحية والبذل في سبيل تقدمه.

3- أن تهتم بتوضيح الأثر الاجتماعي للأحكام الشرعية، وإبراز أهمية دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حفظ وصيانة حياة الناس من الفساد أو الظلم والعدوان، وأهمية التكافل الاجتماعي كما حدده الإسلام.

4- أن تساعد الفرد المسلم على اكتساب القدرة على استيعاب التغيرات الاجتماعية المرغوبة والتكيف معها، وعلى المساهمة الإيجابية في إحداثها ودفعها إلى الأمام.

5- أن تهتم بتخليص الأفراد من الأفكار القبلية والطبقية الضيقة، وتنمية روح الولاء والانتماء للمجتمع الإسلامي.

[1] راشد بن ظافر الدوسري، دور التربية الإسلامية في التنمية، الموقع :-cfijdida.over blog.com/article-31681891.html

6- أن تساعد الفرد على اجتناب الصفات السلوكية المفسدة للعلاقات الاجتماعية، كالظلم والغيبة والحسد..الخ[1]

2-3- دور القيم الإسلامية في تحقيق التنمية البشرية :

من أبرز ما يمكن أن تقدمه القيم الإسلامية لتكون أداة فاعلة في إحداث ودفع التنمية البشرية:

1- أن تتعهد وتنمي العقيدة الإسلامية الصحيحة عند المتعلمين، وتجعلها الإطار المرجعي لسلوكهم وتصرفاتهم.

2- أن تعتني بنشر وبتعليم العلوم الشرعية، وإشاعة القيم والثقافة الإسلامية بين المتعلمين، وتنمية الولاء للثقافة العربية والفكر الإسلامي، ومقاومة الغزو الثقافي والشعور بالنقص والدونية الثقافية.

3- أن تعتني بنشر وبتعليم جميع العلوم النافعة، وأن تغرس في نفس المتعلم أن تعلمها فريضة على المسلم، وأنها مكملة للعلوم الشرعية، وأنه لا غنى للمجتمع المسلم عنهما معاً.

4- أن تعمل على تطوير تدريس العلوم في مختلف المراحل ليساير التطورات العالمية المفيدة من حيث المحتوى والوسائل والطرائق والمختبرات وغيرها.

5- أن تكشف عن قدرات واستعدادات المتعلمين، وتتعهد طاقات الإبداع والابتكار اللازمة للتقدم العلمي، وأن تهيئ البيئة المحرضة والمساعدة على تنمية هذه الطاقات إلى أقصى حد ممكن.[2]

3- مكانة القيم الروحية في الفكر التنموي لدى ابن خلدون:

[1] نفس المرجع والموقع.

[2] نفس المرجع والموقع.

مما لا شك فيه أن حضارات الأمم تبني بالأخلاق والقيم وأن انهيارها مرتبط بالانحلال والانحراف عن منهج الله الواحد الأحد. يقول ابن خلدون: "إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه".

وأدرك هذه الحقيقة أيضًا أحد كتاب النصارى واسمه "كوندي" حيث قال: "العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال بالشهوات"، قال تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا " (الإسراء:16).

ويعتبر الضعف الخلقي عند المسلمين في الأندلس قبل سقوطها أحد النتائج التي نجمت عن الانحراف عن منهج الله، وكان من مظاهره[1]: الأنانية وحب الذات، التشبه بالعدو وتقليده، انتشار المجون والخلاعة بين المسلمين.

فما أشبه الليلة بالبارحة، فحالنا الآن من جهة استعلاء الأعداء على المسلمين وتمكنهم منا إنما هو منا، "قل هو من عند أنفسكم"(سورة:,,,)، فقد بعدنا عن ديننا وانتشرت رذائل الأخلاق بيننا وتشبهنا بل ووالينا أعداءنا وتفرقنا، وما أن نعود إلى ديننا سيعود لنا عزنا " إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ "(الرعد: 11).

3-1- رؤية ابن خلدون الايمانية للعالم:

إن رؤية ابن خلدون للعالم تقوم على الإيمان الديني الإسلامي بكل تفاصيله النقلية المعروفة، فالبعد العمراني من حياة البشر في هذه الأرض ليس توجهاً

[1] أثر انهيار الأخلاق في انهيار الحضارات، متاح على الموقع :
http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=39014

مادياً في رؤية العالم، كما يحاول بعض الماديين أن يصوروه، وإنما هو تحقيق لإرادة الله - عزّ وجلّ- في عمران العالم، والخلافة في الأرض " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا " (هود : 61) وما فيها وما حولها، ولذلك فإن الإنسان ممكَّنٌ في الكون بإذن ربه، وكلُّ ما خلقه الله هو مسخرٌ لهذا الإنسان (بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له)، وابن خلدون يجعل هذا التأكيد في موقع مبكر من المقدمة، ويعود إليه بصورة متكررة، وبصورة تعكس وضوح رؤيته وانسجام عناصرها المنطلقة من عقيدة التوحيد الديني.

3-2- ارتباط فكر ابن خلدون بمجتمعه وثقافته الإسلامية:

ابن خلدون العالم المسلم ومن خلال أفكاره ونظرياته الاقتصادية المبتكرة، أكد أنه ابن مجتمعه وثقافته الإسلامية، وكانت أفكاره إسلامية المنشأ متطابقة مع روح الشريعة الإسلامية. فهو لم يكن مسلمًا فحسب، بل كان فقيهًا من أتباع المذهب المالكي، وكان يرى أن الدين أهم شيء في الحياة، وأن الشريعة هي الطريق الوحيد إلى الهدى.

كما كانت الروح الإسلامية بالنسبة لابن خلدون، واضحة في نظريته حول سقوط الدولة أو هرمها، وكان انتماؤه للحقل المعرفي الإسلامي جليًا... فهو - بالإضافة إلى إشارته لدور العصبية والمال في قيام الدولة وسقوطها - يرى أن الخلل الأعظم الذي يواجه الدولة، يعود إلى عوامل أخرى، فإن الله إذا تأذن بخراب أمة انقراضها، حملها على المذمومات وانتحال الرذائل، فينصرفون عن مؤازرة الملك إلى الانغماس في النعيم الطارئ، فيضعفوا وتذهب ريحهم. إن حديث ابن خلدون عن هرم الدولة فانهيارها، بسبب سيادة الأخلاق غير الفاضلة فيها، يؤكد هويته الإسلامية ويؤكد أنه لم يهمل الأبعاد الأخلاقية

والقيمية، ومن ذلك أيضًا حديثه عن الظلم، السخرة وتكليف الأعمال، ثم حديثه عن المذمومات والرذائل، وهو ما أشرنا إليه سلفًا.[1]

3-3- القيم الأخلاقية والعمران عند بن خلدون:

إن الأخلاق والعمران (مصطلح ابن خلدون)، أو الأخلاق والتنمية قضية في الاقتصاد على وجه الخصوص، وفي الفكر الخلدوني يعمل مصطلح العمران على قيام الدول وسقوطها وتطور المجتمعات واضمحلالها.

فمقدمة ابن خلدون تتمتع بثراء واسع فيما يسمى بالفواصل الإيمانية التي لها ارتباط بموضوع العمران، وهي فواصل تأتي في ختام الفصول أو في ثناياها وقد تأتي في مقدمتها وتحمل قيمًا إيمانية، وتبلغ مائتين وسبعين فاصلة. ومن ما قاله ابن خلدون عن الأخلاق والعمران: وفي الفواصل بعنوان: "في أن العمران البشري لابد له من سياسة

ينتظم بها أمره"، كتب ابن خلدون في الفصل الحادي والخمسون:"اعلم أنه قد تقدم لنا في غير موضع أن اجتماع البشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه. وأنه لابد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه، وحكمه فيهم تارة يكون مستندًا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه وإيمانهم بالثواب الذي جاء به مبلغه، وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب الحاكم بعد معرفته بمصالحهم".[2]

فابن خلدون ينظر إلى القيم الاجتماعية على أنها ضرورية لإقامة الكيان السلطاني والسياسي، وتقوم هذه القيم في الأساس على عاملين اجتماعيين

[1] عمر عبيد حسنه، التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون، متاح على الموقع: http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=6&Chapte rId=6&BookId=250&CatId=201&startno=0.

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص 238.

مهمين هما العصبية والدين، أما جميع العوامل الاجتماعية الأخرى فهي من لواحق العصبية والدين إذ لولا العصبية والدين لما كان عندنا اجتماع إنساني سليم.

3-4- **عدم الالتزام بالقيم الأخلاقية سبب لخراب العمران**:

تبين في الفقرة السابقة أن ابن خلدون يعتقد أن الالتزام بالشريعة بما فيها من قيم أخلاقية شرط لتحقيق العمران على نحو مستقر وآمن. وكتب في فصل آخر ما يؤكد أهمية القيم الأخلاقية في الاقتصاد، وبعنوان " في أن الظلم مؤذن بخراب العمران"، كتب ما يستنتج منه أن ترك الشريعة الإسلامية سبب لخراب العمران. في الفصل المشار إليه ذكر صورًا للظلم، ويلاحظ أن الصور التي ذكرها تمثل أنواعًا من الظلم الاقتصادي، وحدد معها أثر ذلك على فساد العمران، إذ يقول: " وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقًا لم يفرضه الشارع فقد ظلمه. فجباة الأموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة، والمنتبهون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، واغتصاب الأملاك على العموم ظلم، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابها الآمال من أهله".

وفي السطور التالية مباشرة يكتب عن السياسة الشرعية التي تحرم كل هذه الصور من الظلم، وبالتالي تحرم الأسباب المؤدية إلى خراب العمران." واعلم أن هذه الحكمة هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما نشأ عنه من فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ".[1]

[1] وافي، علي عبد الواحد، مرجع سابق، ص ص 699- 725.

فغياب القيم يؤدي بالضرورة إلى انهيار الحكم أو الدولة، ومن ثم فإن الظلم الذي يظهر في جماعة بشرية ويضرب بجيرانه فيها، يزيد من احتمالات انهيار الكيان السياسي، والتاريخ الإنساني يؤكد هذه الحقيقة.

وهكذا نجد بأن آراء ابن خلدون عن الأخلاق في العمران الاقتصادي كما تعمل على الفرد كشخصية طبيعية تعمل كذلك على التنظيمات، الشخصية الاعتبارية، وكذلك تعمل على الدولة من حيث وظائفها ومسؤولياتها الاقتصادية. وبهذا التوجيه تقوم رابطة لزومية بين العمران والسلوك القيمي الاقتصادي لهذه الوحدات.

ثالثا: منهج الإسلام الحضاري وتبني القيم الدينية للنهوض التنموي بماليزيا

منذ نهاية القرن التاسع عشر يتوالى عرض وتقديم دعوات الإصلاح ومشاريع النهوض في العالمين العربي والإسلامي وقد ساهمت أفكار ابن خلدون في تعزيز مشاريع النهوض بالعالمين العربي والاسلامي، حيث تبنى المشروع التنموي الماليزي منهج الإسلام الحضاري في بلد مسلم متعدد الأعراق، وذلك بوضع خطط تنموية في ضوء القيم والتعاليم الإسلامية، وأنجزتها عقول وسواعد مسلمة، وحققت ماليزيا بالفعل نهضة شاملة في مختلف الميادين.

تشكل التجربة الماليزية إحدى التجارب الناجحة في مجال التنمية المستدامة، وهي تجربة جديرة بالاهتمام والدراسة.

1- التعريف بماليزيا وأهمية دراسة نموذجها التنموي:

ماليزيا دولة مسلمة تقع في وسط جنوب شرق قارة آسيا، نالت استقلالها في 31 أغسطس 1957، تبلغ مساحتها حوالي 329,845 كم^2، أما عدد سكانها فقد بلغ 28ر3 مليون نسمة وفقا لاحصاء عام 2010 (8.2 % منهم أجانب)[1]، ووصل العدد

[1] خطاب رئيس الوزراء الماليزي السيد عبد الواحد عمر في اختتام النقاش حول الخطاب الملكي في البرلمان الماليزي يوم:2013/07/31.

إلى 29.3 مليون نسمة سنة 2012 [1]، ينقسمون إلى مجموعات عرقية رئيسة لكل منها دينها، ولغتها، وحضارتها، وأهمها شعب الملايو الذين يشكلون غالبية السكان.

وتعتبر ماليزيا من البلدان القليلة التي شدت إليها الأنظار ولفتت إليها الاهتمام في السنوات الأخيرة[2]:

- فماليزيا هي إحدى تنانين جنوب شرقي آسيا، صمدت أمام العاصفة الهوجاء ولم تخضع لضغوط البنك الدولي والمؤسسات المصرفية والشركات المتعددة الجنسيات وتمكنت ماليزيا من إنقاذ اقتصادها من الانهيار ومضت تجسم نموذجها التنموي والاجتماعي والثقافي الذي وفرت له كل أسباب التماسك.

- ودون الدخول في استعراض الأرقام والنسب لمؤشرات التنمية والتقدم، فقد احتلت ماليزيا المرتبة التاسعة من بين الدول التي عرفت تراجع للعجز في دليل التنمية البشرية وبنسبة 36.6 %، والمرتبة 17 في نمو نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي وبنسبة 3.6 % خلال الفترة (1990 – 2012)[3]، ويشير تقرير التنمية البشرية لعام 2014 إلى أن ماليزيا حققت ترتيبا صاعدا (المرتبة 62) وبمؤشر 0.773 [4].

[1] أنظر: تقرير التنمية البشرية 2013، " نهضة الجنوب "، برنامج الأمم المتحدة الانمائي UNDP، نيويورك، 2013، ص.207.

[2] محمد صلاح الدين المستاوي، ماليزيا ونموذج التنمية المتوازن وتجربة الإسلام الحضاري، متاح على الموقع : www.mestaoui.com

[3] أنظر: تقرير التنمية البشرية 2013، برنامج الأمم المتحدة الانمائي (UNDP)، نيويورك، 2013، ص 66.

[4] تقرير التنمية البشرية 2014 ،" المضي في التقدم : بناء المنعة لدرء المخاطر"، برنامج الامم المتحدة الانمائي، نيويورك، 2014، ص: 162.

- بالرغم من تداعيات الأزمات المالية (1997و 2008) استمر معدل النمو مرتفعا، مع التضّخم المنخفض

واستقرار الأسعار، والتدفق الكبير للاستثمار الأجنبي، مما أدى لرفع مستوى المعيشة للمجتمع الماليزي[1].

وساهمت سياسة سوق العمل والاجراءات المتخذة لمواجهة الآثار الناجمة عن أزمة 1997، في تخفيض معدل البطالة الى 3 % في 2011 وهي نسبة تماثل أو أقل من العديد من الدول المتطورة.[2]

- وأمكن لماليزيا أن تنتج مصانعها بضائع غزت أسواق البلدان الأروبية وحتى أمريكا وفاقت هذه البضائع في جودتها وفي انخفاض أسعارها بضائع ومنتوجات دول كبرى وعظمى تفوق ماليزيا في عدد السكان وفي اتساع المساحة وفي وفرة الإمكانات وفي الأسبقية الزمنية، ولكن ماليزيا هذا البلد الصغير بفضل النموذج التنموي الذي أدخلته حيز التنفيذ أبرزت تجربة معاصرة ونموذجا جديدا لفت انتباه الدارسين والباحثين والمراقبين وانكبت عليه بعض معاهد الدراسات الإستراتيجية - والخصوصية في النموذج الماليزي انه تحقق في بلد مسلم وأنجزته عقول وسواعد مسلمة مما يزيل كل إحباط أو يأس كادا أن يحكما باستحالة استعادة الأمل في تقدم يحصل في العالمين العربي والإسلامي فإذا بالنموذج الماليزي يعيد هذا الأمل من جديد.[3]

---

[1] عبد العزيز السلومي، عمر حوتية، فرص الاقلال من الفقر بالدول العربية في ضوء نتائج التجربتين الماليزية والسعودية، الملتقى الدولي حول: تقييم سياسات الإقلال من الفقر في الدول العربية في ظل العولمة، يومي 08 – 09 ديسمبر 2014، جامعة الجزائر 3 .

[2] عمر حوتية، "القيادة الابداعية وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة التجربة الماليزية أنموذجا"، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثاني حول الإبداع والابتكار للتنمية المستدامة 2014 : القيادة من خلال الإبداع والابتكار والاستدامة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، أيام 20 - 22 أكتوبر 2014 .

[3] محمد صلاح الدين المستاوي، مرجع سابق.

وتظهر الحاجة لدراسة تجربة ناجحة لبلد معين لما تمثله من أداة مساعدة لتطبيق النموذج على بلدان أخرى، ممَا سيسمح باقتصار الجهد والوقت، وتنبع أهمية دراسة النموذج الماليزي للنهوض التنموي، فيما يلي[1]:

1- أن ماليزيا دولة مسلمة استطاعت النهوض باستخدام هذه الثقافة وتبني القيم الدينية، وفي ذلك رد على الذين يرون أن الاقلاع الحضاري لا يكون الا بمقاطعة الدين والهوية واستيراد كل ما هو حديث لبناء فضاء معرفي بديل.

2- تبيان ما تتميز به ماليزيا من تعدد عرقي واستطاعت بحكمتها السياسية أن تجعل البلاد نموذجا للتعايش السلمي على خلاف ما هو موجود في بعض بلداننا العربية والاسلامية من تشاحن ومواجهات بين الطوائف.

3- محاولة استخلاص الدروس المستفادة من تحليل واقع التجربة الماليزية، والكشف عن عناصر القوة وأهم المتغيرات التي حكمت التجربة الماليزية في التنمية والنهضة.

4- التوصية بالمقترحات المحددة التي قد تساعد في اعتماد نموذج تنموي تتضح معالمه في الفكر التنموي لابن خلدون، يتبنى القيم الدينية للنهوض التنموي في المجتنعات العربية والاسلامية.

2- التمسك بالقيم الإسلامية هو الإطار المرجعي العام للتنمية في ماليزيا:

شكل الاسلام بمبادئه وقيمه الإطار المرجعي العام للتنمية في ماليزيا، ومن ثم فإن الحلول الواجبة لبلوغ نموذج تنموي ناجح يجب ألا تتعارض مع المقاصد العامة للإسلام، ولكنها أيضاً ينبغي أن تتلاءم مع معطيات الواقع العالمي والإسلامي. فتمسّك الماليزيين بالإسلام والنهوض من خلاله، هو تمسك بالأهداف والقيم العامة للإسلام.

وليس بنموذج معين أو تفسير بشري وحيد وجامد للدين، ومن ثم فإن التمسك بالإسلام يعني السعي لتحقيق أهدافه من خلال آليات لا تتعارض معه،

[1] عمر حوتية، مرجع سابق.

ويشمل ذلك الاستفادة من القيم الروحية والأخلاقية لدي الشعوب الأخرى، وفي مقدمتها الشعوب الشرق آسيوية، والتي تقوم علي العمل الجماعي والانضباط الصارم.

وهكذا اتجهت ماليزيا إلى بناء دولة حديثة تحقق الأهداف العامة للإسلام، وتجيد العيش مع الآخرين، واستفادت من تجارب الدول الشرق آسيوية كاليابان وكوريا الجنوبية، فهذه التجارب بتركيزها علي قيم وأخلاقيات العمل الجاد تحقق الأهداف العامة للإسلام، بعبارة أخرى، فإن القيادة الماليزية ركّزت علي التنمية المتفقة مع الأهداف العامة للإسلام، أكثر من تركيزها علي " مفهوم إسلامي " للتنمية.

ولذلك نلاحظ أن "رؤية 2020 " التي قدمها مهاتير محمد(*) لمستقبل ماليزيا في العام 1991 تشير إلي بناء الدولة الإسلامية حتى عام 2020م علي أسس عصرية، بيد أن الخطاب السياسي لهذه الرؤية عندما سعي إلى التطبيق أعطي وزنًا أكبر للبعد الإسلامي في التنمية، ومن خلال تجربة تنموية معاصرة تقوم على التوافق بين القيم الرأسمالية السائدة والأفكار والقيم الإسلامية السامية، تقوم على مايلي:

1- رفض استيراد مفاهيم التحديث الغربي وما يتولد عنهما من رؤية تنموية قد لا تتناسب مع خصوصيات المجتمع الماليزي، والدعوة في نفس الوقت إلى استيعاب تجارب دول أخرى كانت نتائجها عكسية.

(*) يصنف مهاتير محمد بأنه مهندس النهضة الماليزية وذلك لما شهدت ماليزيا في عهده من طفرة معرفية وعلمية وحضارية، ووجهها في تنمية المجتمع. وكثيراً ما كان يتحدث عن بناء دولة حديثة تحقق الأهداف العامة للإسلام، وكان يؤكد أن الإسلام الصحيح هو العيش بسلام مع شعوب مختلفة الديانات والأعراق والتركيز على تلك القيم المشتركة التي جاءت بها كل الأديان ولا يختلف عليها أحد من إقامة العدل والحرية والمساواة واحترام القانون والعيش بسلام.. وبالتالي يمثل الإسلام في نظر مهاتير محمد إطار عاماً للتنمية من منطلق البحث عن حلول واقعية تتفق مع الأهداف العامة للإسلام.

2- أن نقطة البدء في التنمية تقوم من واقع المجتمع وخصوصياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية مع الانفتاح على الثقافات الأخرى بالقدر الذي نحتاج.

3- التركيز على العمل باقتصاد السوق مع الانتقائية في استخدام التدخل الحكومي وأهمية التصنيع في المجتمع الإسلامي ودورة في خدمة المجتمع الإسلامي ورفاهيته.

4- التركيز على ضرورة إتباع التعاليم الدينية بصورة عملية وصادقة وعدم رفعها كشعار خالي من المضمون.

5- تأسيس البنك الإسلامي للتنمية بموجب القانون المصرفي الإسلامي لعام 1983م على أساس التعاقدية الجديدة بين المصرف وعملائه تقوم على مفهوم إسلامي صرف.

6- إنشاء العديد من شركات التأمين الإسلامية (التأمين التكافلي)، والقيام بتعديل قانون العقوبات لتجعله أكثر انسجاما مع مبادئ الشريعة الإسلامية وإدخال إصلاحات جوهرية على نظام التعليم، وخاصة الديني وغيرها من

الرؤى التي مثلت مداخل أساسية لبناء الدولة الماليزية الحديثة، وعلى ضوئها كان الانطلاق سريعاً نحو التحديث.[1]

وقد جعلت البرامج التي قدمتها حكومة مهاتير محمد من الإسلام الوسيلة الفعالة لعملية التقدم ومعالجة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وجراء النمو الاقتصادي المذهل الذي أسبغ حياة الرخاء والازدهار للماليزيين، فقد باتوا راضيين مطمئنين بفضل الشعور الديني المتجدد والالتزام الجاد بالهوية

[1] فهد سلطان، الإسلام الحضاري (التجربة الماليزية نموذجاً)، دار المسار، فبراير 2011، متاح على الموقع : http://feker.net/ar/2011/07/17/8798/.

الإسلامية فهي التي ساعدت مسلمين المالاي على حسن إدارة الدولة وتوظيف القيم الروحية والثقافية الإسلامية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وبالرغم من التحديات التي واجهتهم، فإن القيم الدينية منحت الأمل القوي للماليزيين نحو الحلم المشروع (رؤية 2020) الهادف إلى جعل ماليزيا دولة صناعية يحقق فيها الفرد دخلاً لا يقل عن دخل الفرد الأمريكي.

ومن أبرز تلك القيم الاجتماعية التي حققتها ماليزيا وساعدت في تحقيق تنميتها:وبما أن أكثرية الشعب الماليزي مسلم فإن الثقافة الإسلامية تدعم مجموعة من القيم رجحت الكفة التنموية لصالح الماليزيين كالصدق والإخلاص والرعاية الأسرية وغيرها، والأكيد أن هذه القيم سخرت إيجابيا في دعم التنمية.

3- الإسلام الحضاري في ماليزيا الفكرة والمفهوم:

إن الإسلام كثقافة وحضارة ورصيد ثري من العطاءات المؤثرة شديد التأثير في تفكير وسلوك المسلم، وهو يعرض اليوم على مستوى الأفراد والجماعات وحتى بعض الدول برؤى وممارسات تكاد تتناقض كليا، وتتخذ البعض منها ذريعة للنيل من الإسلام وتشويهه والتخويف منه واستعجال الصدام معه، تذكي كل ذلك أحداث متلاحقة ليس من قبيل الصدفة أن تشهدها كلها أو أغلبها ساحة العالم الإسلامي على امتدادها، وتزيد الطين بلة أزمة الخوف والتخويف من الإسلام والمسلمين في تصريحات كبار الساسة وتحليلات بعض كبار المحللين والمنظرين في الغرب.

وفي خضم ذلك عرضت ماليزيا نموذجا أسمته **بمنهج الإسلام الحضاري** والمتمثل في "وضع خطط تنموية في ضوء التعاليم الإسلامية تراعي المحافظة على تحقيق التوازن الروحي والاقتصادي والتربوي والاجتماعي والقانوني في جميع النواحي الحضارية، وذلك ينبع من إدراك تام بأن الإسلام ليس مجرد شعائر دينية فحسب وإنما هو دين عملي".

وقد أخذت الحكومة الماليزية في عهد مهاتير محمد على عاتقها عملية تشكيل وقيام النهضة بوضع عدد من الخطط التنموية في ضوء التعاليم الإسلامية، مراعية في ذلك المحافظة على تحقيق التوازن الروحي والاقتصادي والتربوي والاجتماعي والقانوني في جميع النواحي الحضارية.

وطرح رئيس وزراء ماليزيا الأسبق داتو سري عبد الله أحمد بدوي مشروعًا قال إنه يهدف لنهضة الأمة على هدي تعاليم الإسلام، ومن أجل استعادة دور الحضارة الإسلامية، وأطلق على هذا المشروع اسم "الإسلام الحضاري"

(Civilizational Islam/ Islam Hadhari)، وهو اصطلاح يقصد به المنهج الحضاري الشامل لتجديد قيم الإسلام وتطبيقه في ماليزيا ولاستخدامه محركاً للأمة نحو التقدم والتطور والريادة الإنسانية.[1]

وكما يعرفه هو شخصياً بأن هذا المشروع هو (جهد من أجل عودة الأمة إلى منابعها الأصيلة وإعطاء الأولوية للقيم والمعاني الإسلامية الفاضلة لكي تواجه الحياة وترشدها).

ويتطلع منهج الإسلام الحضاري إلى بناء دولة (ماليزيا) ذات مجتمع متقدم ومتفق وذي مهارة وكفاءة عاليتين ويتحلى أفراده بمستوى عال من القيم الأخلاقية والمبادئ السامية القائمة على العقيدة والدين.

يركز مبدأ الإسلام الحضاري على التنمية وتشييد الحضارات وفق المنظور الإسلامي الشامل، ويكون ذلك بتكثيف الجهود من أجل رفع مستوى الحياة والمعيشة من خلال الإلمام والتمكن من العلوم والمعارف، والتنمية الروحية والمادية، وسيبقى تراث الحضارة الإسلامية المجيدة دافعاً وحافزاً لرقي الأمة المعاصرة في شتى نواحي الحياة.

[1] نورة خالد السعد، مشروع الاسلام الحضاري، متاح على الموقع :
http://www.alarabnews.com/alshaab/2005/01-07-2005/nora.htm

تم وضع أسس عامة لمبدأ الإسلام الحضاري تساعد على تحويل فكر المسلمين بصورة شاملة ومنتظمة دون التأثر بعوامل قبلية أو حزبية، كما يتطلب الإسلام الحضاري تغيير نظرة المسلمين للعالم.

وبناء على ذلك يتم التركيز على مفاهيم معينة كالتي تتعلق بالحياة والعمل بوصفهما عبادة، ومفهوم خلافة الإنسان لإعمار الأرض، ومسئولية تحقيق التقدم والنجاح الحضاري في كل ميادين الحياة، ولا سيما تلك المفاهيم المتماشية مع مقاصد الشريعة، ومن أبرزها ما يركز على المحافظة على جوانب: الدين، العقل، النفس، المال، النسب، العرض، الأسرة، العدل والأمن.

إن مبدأ الإسلام الحضاري سيكون دليلاً يثبت قدرة دولة ماليزيا على أن تكون نموذجاً للدولة الإسلامية المثالية، والتي تسلك مسلك الوسطية كما يدعو إليه الإسلام، وهذا يتماشى مع السياسة الحالية للدولة وكذلك المستقبلية (رؤية 2020م)، وسياسة تنمية الدولة وغيرها. وعلى هذا فإن مبدأ الإسلام الحضاري يؤكد على قيم ومفاهيم التنمية العالمية التي لا تتعارض بأي شكل من الأشكال مع إطار المجتمع متعدد الأجناس.

ومما جاء في النص العربي للوثيقة التي صدرت في بداية عام 2005 بخصوص مشروع الإسلام الحضاري بأن الإسلام هو الدين الصالح لكل زمان ومكان، والمنهج الكامل المتجدد للحياة، القادر على حل جميع المشكلات المعاصرة على مدى الأزمان، وعلى هذا فإنه ينبغي اتخاذ الطريقة المناسبة لتغيير وجهة نظر المجتمع المسلم لتعاليم الإسلام في كافة مجالات الحياة على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي والوطني.[1]

[1] ماليزيا .. ومشروع الإسلام الحضاري، متاح على الموقع :
http://islamonline.net/feker/studies/6306

يركز مبدأ الإسلام الحضاري على النهضة التي ترمي إلى تشييد الحضارات من خلال تحسين مستوى المعيشة والنهوض بالإنسان روحياً ومادياً عن طريق التمكن والإلمام بشتى أنواع المعارف والعلوم.

وفكرة الإسلام الحضاري في ماليزيا ليست مذهباً حديثاً أو ديناً جديداً، وإنما هي وسيلة عملية من أجل إعادة الأمة الإسلامية إلى الأسس والمبادئ التي يدعو إليها القرآن والسنة الشريفة التي تعد دعامة الحضارة الإسلامية.[1]

3-1- التعريف بفكرة الإسلام الحضاري:

في ظل الهجمات الشرسة على الإسلام، وللرد على إساءة فهم الغرب للإسلام واتهامهم له بالتطرف والنظر إليه نظرة سلبية، قامت الحكومة الماليزية بتقديم هذا المشروع. و يراد بكلمة " الإسلام الحضاري" الإسلام الذي يركز على جانب التمدن وبناء الحضارة. ويقال باللغة الإنجليزية "Civilizational Islam".

ويعرف مبدأ الإسلام الحضاري بأنه : "وسيلة من وسائل تطوير الإنسان والمجتمع والدولة بصورة متميزة وشمولية قائمة على أسس التمدن الإسلامي". ويتضح من هذا التعريف ما يأتي:

1- أن مبدأ الإسلام الحضاري أكثر شمولية وكمالاً من المبادئ والمفاهيم المقتصرة على جوانب جزئية من الدين، كما هو شأنه في مفهوم الإسلام السياسي، والإسلام الصوفي وما شابه ذلك.

2- أن مبدأ الإسلام الحضاري يتمثل في التعاليم الإسلامية التي تهتم بجوانب الحياة المختلفة من أجل رفع مستوى معيشة المجتمع المتمدن، ومن ثم إعداد أبنائه لمواجهة مختلف تحديات العصر الحديث عصر ثورة الاتصالات والمعلومات والعولمة، والاقتصاد العالمي، وتيار المادية البحتة، وأزمة الحفاظ على الشخصية الذاتية، والغزو الفكري.

[1] فهد سلطان، مرجع سابق .

3- أن هذا المبدأ يركز على أهمية الشعائر الدينية في بناء حضارة الأمة، حيث إن الاستقرار الروحي والنظرة المتزنة للحياة والقيم العالية تعد ركيزة الحضارة الخالدة.

ويتطلع مبدأ الإسلام الحضاري إلى جعل ماليزيا أنموذجاً لدولة إسلامية متقدمة، ومجتمع متقدم ومثقف وذي مهارة وكفاءة عاليتين، يتحلى أفراده بمستوى عالٍ من القيم الأخلاقية والمبادئ السامية القائمة على العقيدة والدين.

3-2- الرسالة و الهدف:

رسالة مبدأ الإسلام الحضاري تنفيذ الخطط التنموية للدولة والشعب من منطلق مفاهيم العالمية والتقدم والحضارة والتسامح والتوازن في الإسلام. ويهدف إلى تكوين مجتمع ذي أفراد متفوقين في الجوانب الروحية والأخلاقية والفكرية والمادية، متميزين بالإبداع والابتكار معتمدين على أنفسهم محبين للتنافس الشريف ومتسمين ببعد النظر، وقادرين على مواجهة تحديات العصر بكل حكمة وعقلانية واتزان وتسامح.

3-3- مبادئ وعناصر مفهوم الإسلام الحضاري:

وللإسلام الحضاري كمنهج أسس ومبادئ، نجدها في مشروع رئيس وزراء ماليزيا عبدالله بدوي، وطرحت كالآتي[1]:

1- الإيمان بالله وتحقيق التقوى.. وهنا نجد الارتباط القوي بين (الإيمان بالله) سبحانه وتعالى وهو بالطبع العامل الأساس في الاستخلاف وعمارة الحياة وبين (التقوى) فالتقوى ركيزة أساسية في نجاح كل عمل يقوم به هذا الفرد المستخلف.. فتنقية المعتقد وتزكية الروح وتصحيح العبادة مبادئ إيمانية ولكن ارتباط هذه المبادئ بسلوك الإنسان وعمل الجوارح هو المنتوج الفعلي لمعاني إيمانه بالله.

[1] نورة خالد السعد، مرجع سابق .

2- الحكومة العادلة الأمينة.. أي الحكومة التي جاءت عن طريق الشورى والاختيار الحر دون قهر أو إكراه وتعمل على بسط العدل ونصرة المظلومين وردع الظالمين، وترد الحقوق إلى أهلها وترعى مصالح الأفراد على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم كما تقوم على قضاء حوائجهم بأمانة وتجرد وإخلاص.

3- حرية واستقلال الشعب.. ذلك أن الحرية هي القيمة الكبرى في الحياة الإنسانية وهي الحافز للعمل والإبداع وبها يكون الإنسان مستقلاً وحراً في قراراته وقد خلع عن رقبته طوق العبودية والتبعية.

4- التمكن من العلوم والمعارف.. فالعلم هو المرتكز الأساس لنهضة الأمة والوسيلة التي يستعان بها على عمارة الأرض وتسخير ما فيها وترقية الحياة والانتفاع بالطيبات من الرزق.

5- التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة أي تلك التنمية الشاملة بكل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والروحية والمادية والثقافية والحضارية التي تجعل صلاح الإنسان غاية وهدفاً لها.

6- الرفاة المعيشي وتحسين نوعية الحياة والتي تتمثل في سلامة الحياة واستقرارها وجودتها وتوفير متطلباتها الضرورية.

7- حفظ حقوق الأقليات والمرأة.. رعاية حقوق الأقليات العرقية والدينية وكذلك احترام المرأة وتقدير مكانتها وتعزيز دورها الايجابي في المجتمع.

8- رقي الثقافة وسمو الأخلاق، والعناية بها في كل المجالات والجوانب باعتبارها أساس لتربية الأجيال.

9- حفظ وحماية البيئة.. ومنع ما يهددها من عوامل التلوث والآفات والإهلاك.

10- تقوية القدرات الدفاعية للأمة، وذلك للحفاظ على سلامة ووحدة أراضي الدولة وحماية المصالح العليا لشعوبها والمحافظة على استقلالها وسيادتها.

وتم وضع هذه الأسس والمبادئ بطريقة يتسنى للحكومة تطبيقها بحيث لا ينشأ عنها أي سوء فهم أو اضطراب بين أفراد مجتمع متعدد الأجناس والأديان. وتسعى لتقوية كيان الأمة الإسلامية وإعداد أبنائها لمواجهة التحديات.

ويقوم المشروع على العناصر التالية: التعليم الشامل، والادارة الجيدة، والتجديد في الحياة، وزيادة جودة الحياة، وقوة الشخصية، والحيوية والنشاط، والشمول والسمعة ويعتبر الإسلام منهج حياة كامل فهو عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة وتشريع وقانون وتربية وتعليم ودولة ونظام. يتناول مظاهر الحياة كلها، ويحدد منهاجاً للسلوك البشري في كافة أطواره. ومن عناصر هذا المشروع أيضا أنه منهج عملي من حيث مراعاته واقع الحياة وطبيعة الإنسان وتفاوت الناس في استعداداتهم ومداركهم وحاجاتهم ومطالبهم، كما يتميز بالاستقلالية وعدم التبعية للأجنبي سواء كانت تبعية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية.. وهذا العنصر من أسباب نهضة ماليزيا.[1]

وأيضاً من العناصر المهمة في مشروع ماليزيا (الإسلام الحضاري) عنصر (تعزيز المؤسسة الأسرية).

4- امكانيات الاستفادة من التجربة الماليزية في النهوض التنموي بالعالم الاسلامي المعاصر:

إن المتتبع لتجربة ماليزيا التنموية يرى كيف اعتمدت على أسس واضحة وقوية (مبادئ وقيم الدين الإسلامي) واستطاعت أن تحقق مكانة اقتصادية وتنموية هامة، وأن تصبح نموذجاً عملياً للنجاح في خطط التنمية الشاملة.. فقد طبقت ماليزيا رؤية حضارية للإسلام وحققت نجاحاً فيها، وانطلقت من تربة خصبة لتطبيق مشروع "الإسلام الحضاري" عملياً وليس تنظيرياً أو استهلاكاً لأحاديث مؤتمرات وندوات.

[1] نفس المرجع والموقع .

وتكمن الدعوة للاستفادة من التجربة الماليزية في الدول الاسلامية، لوجود نقاط تقاطع وتشابه بينها وبين ماليزيا، من أبرزها الاشتراك في منظومة من القيم الإسلامية، الأمر الذي يدفع وبقوة لدراسة هذه التجربة والاستفادة منها.

إن التجربة الماليزية مليئة بالدروس المستفادة التى تدعونا الى التأمل والنظر فيها والاعتبار منها، فالبداية أتت متأخرة ولا سيما عن اليابان وبالرغم من ذلك استطاعت ماليزيا فى فترة زمنية لا تتجاوز الخمسة والأربعين عاما أن تحقق مكانة تنافس بها الدول الصناعية الكبرى على المستوى الاقتصادى. إن مثل هذا المشروع يفترض أن تتبناه المجتمعات الإسلامية التي تنشد التقدم الحقيقي دون تبعية ودون تخاذل ودون تفريط في تعاليم الدين وقيمه ومبادئه.بعدما فشلت خطط التنمية المستوردة في العالم الإسلامي.

ومع ما يلاحظ اليوم من انفصال بين القيم الدينية وبين مظاهر سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات الإسلامية، وخاصة في ظل ما تواجهه من تحديات كبرى وأخطار تذويب ثقافي وحضاري وغزو فكري بأشكال متعددة آخرها (العولمة)، في عصر تسير الأمور فيه نحو إبعاد الفرد والمجتمع عن قيمة ودينه أكثر فأكثر، بدءا من الانبهار بالتطور التقني والتجاوب معه دون وجود رصيد قيمي وسلوكي يضبط الحياة. فقد استطاعت ماليزيا أن توفق بين استيعاب التكنولوجيا الغربية وتطويرها في إطار الاحتفاظ بالقيم الثقافية الإسلامية.

ويمكن اعتماد مرتكزات التقدم والنهوض التنموي في العالم الاسلامي المعاصر، وبالاستفادة من التجربة الماليزية، من خلال تبني قيم وأخلاق التقدم ؟ أو برامج النجاح التى تؤدى لتقدم أى مجتمع، وهي[1]:

1- قيمة العمل أو الانجاز، بمعنى انه من الراسخ فى ذهن الفرد ان هناك علاقة طردية سببية وضرورية وطبيعية بين كمية النشاط والجهد المبذول

[1] أحمد حمدى حسن حافظ ، موقع القيم فى التجربة الماليزية ، متاح على الموقع : http://ahmedhamdyhassan.blogspot.com/2011/03/blog-post_6987.html

والمكافأة من وراء هذا النشاط وذلك الجهد . وهذا ما يؤدى بالفرد للتحمل والصبر والدأب أنتظارا لمكافأة لن تخذله.

2 - قيمة الابداع، هناك علاقة طردية سببية وطبيعية بين كيفية ونوعية الجهد المبذول وقيمة الانجاز المتحقق عنه. فهناك اعتبار للكيفية أو النوعية أو الابداعية فى العمل. يتطلب الابداع حرية حركية للفكر ومناخ مسالم مستقر.

3- قيمة التخطيط، وجود ووضوح الرؤية والهدف وقابليته للتحقيق.

4- قيمة العمل الجماعى، القدرة على إضافة وتجميع الجهود الفردية لتصبح جماعية.

5- قيمة الصدق والشفافية، وهى تدعم كل القيم السابقة والاتية فالصدق فى التخطيط وتقدير الامكانيات وقابلية الهدف للتحقق أمر ضرورى، كذلك الصدق والشفافية فى قيمة العمل والانجاز.

6- قيمة التدريب والتعليم المستمر وهى مهمة جدا لتحقيق الابداعية.

7- قيمة احترام العلم والبحث العلمى وادراك دوره فى تحقيق التنمية الشاملة، وهي مهمة جدا لتحقيق الابداعية.

8- قيمة أحترام القائد دون مبالغة ومدح وتدليس ودون تهوين منه فى ظل قيادة عقلانية رشيدة تقوم بأدوارها.

9- قيمة المحاسبية، حيث لا أحد فوق المحاسبة.

10- قيمة الانضباط والالتزام، ووجود رقيب ذاتى لكل فرد. ولا شك أن قيم وأخلاق التقدم بهذا المعنى شهدت نموا وازدهارا بالمجتمع الماليزى المعاصر وكانت أحد أهم أسباب نجاح التنمية الاقتصادية بماليزيا.مع اهتمامها برأس المال البشري، باعتباره ركن أساسي لأي مشروع نهضوي مثمر.

الخاتمة:

يشكل فكر العلامة ابن خلدون محور اهتمام كثير من الكتاب والباحثين لما يكتسبه هذا الفكر من عمق وأهمية، فقد بذل ابن خلدون جهدا معتبرا في

استلهام مقاصد الدين ومصالح الدنيا ونقد الحالة المعرفية السائدة في عهده، ومن ثمّ تطوير نسق معرفي متميز، يجيب عن الأسئلة الكلية ويبيّن دورها في بناء العمران البشري وتحقيق النهوض الحضاري. والذي لن يتحقق إلا من خلال مشروع تنموي نهضوي شامل مؤيد برؤية متبصرة لأهداف ومرامي وغايات هذه النهضة المنشودة ويعزز مكانة القيم في المجتمعات الاسلامية، وهو ما تجسد فعلا في التجربة الماليزية.

ومن خلال ما تم التطرق إليه في مضمون البحث، أمكننا التوصل إلى **النتائج التالية**:

- أن نظرية التنمية عند عبد الرحمن بن خلدون تنبع من مصدر واحد وتصب في النهاية في مصب واحد. فمنبعها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومصبها إعمار الأرض بالأخلاق الحميدة التي تكفل كرامة البشر وببنائها بالعمارة والمدنية لتحقيق التنمية الحقيقة والواقعية آخذة بعين الاعتبار خصوصية المجتمعات الإسلامية.

- إن أية نظرية تنموية مهما كان مصدرها لا تؤتي ثمارها إلا إذا وُضِعت بناءً على ظروف عقدية ونفسية واجتماعية خاصة بالمجتمع التي تسود فيه أو ما يعرف بالارتباط العضوي ما بين النظرية وأسسها التي بنيت عليها.

- إذا كان تحقيق التنمية انطلاقاً من أفكار ابن خلدون فلا بد أن من مراعاة الشروط المرافقة لها، ومن أهمها تتبع حركة التاريخ أي دورة الحضارة، وفي هذه الحالة ينبغي أخذ المتغيرات الدولية كالعولمة وتحرير التجارة بعين الاعتبار.

- أن سقوط الأمم والحضارات غالباً ما يعود إلى الانهيار في منظومة القيم الروحية والأخلاقية، ولن تقوى الأمة على تجاوز هذه الهوة والتحديات التي تواجهها إلا عن طريق مشروع تنموي نهضوي شامل.

- أن فكرة الإسلام الحضاري في ماليزيا ليست مذهباً حديثاً أو ديناً جديداً، وإنما هي وسيلة عملية لأجل إعادة الأمة الإسلامية إلى الأسس والمبادئ التي يدعو إليها القرآن والسنة الشريفة التي تعد دعامة الحضارة الإسلامية.

- لقد رجحت مجموعة من القيم الاسلامية كالصدق والإخلاص والرعاية الأسرية وغيرها الكفة التنموية لصالح الماليزيين، خاصة إذا علمنا أن الإسلام يدعم الأخلاق التنموية كإجادة العمل، والحث على عمارة الأرض عمارةً إسلامية خالية من الإفساد، والتركيز على أن الإنسان مطالب بالعمل النافع حتى آخر لحظة من حياته.

وبناءا على ما تم التوصل إليه من نتائج يمكن الخروج **بالتوصيات التالية** :

- التأكيد على أن المجتمع في ضوء منهج الإسلام الحضاري ينبغي أن يرتقي إلى مجتمع ذي أفراد متفوقين في الجوانب الروحية والأخلاقية والفكرية والمادية متميزين بالإبداع والابتكار معتمدين على أنفسهم محبين للتنافس الشريف متسمين ببعد النظر قادرين على مواجهة تحديات العصر بكل حكمة وعقلانية واتزان وتسامح.

- ضرورة إنطلاق النهضة الشاملة من واقع المجتمع وعبر جهود جماعية لا تستثني أحد والاستفادة من كل الإمكانات والمقدرات التي تزخر بها البلدان العربية والإسلامية، وهي بحاجة إلى الترشيد والتوجيه الصحيح.

- تفعيل وتعزيز القيم الدينية الأخلاقية والروحية لتحقيق حياة مستقرة، وبناء مجتمع سليم، وإيجاد أمّة قوية متحضرة، خاصة إذا علمنا أن الإسلام يدعم الأخلاق التنموية كإجادة العمل، والحث على عمارة الأرض عمارةً إسلامية خالية من الإفساد، والتركيز على أن الإنسان مطالب بالعمل النافع حتى آخر لحظة من حياته.

- ينبغي أن نصوغ مشروعا تنمويا إسلاميا، لتحقيق استقلال ذاتي حقيقي لأمتنا يردُّها إلى حضارتها الأصيلة المتوازنة، ويعيد إليها شخصيتها المستقلة

المتميزة، ويجعلها رأسًا في الحياة، لا ذيلاً لشرق أو غرب، ولنرقى بالمجتمع من التخلُّف إلى التقدم، ومن الاعتماد على الغير إلى الاكتفاء بالذات، ومن استيراد مصنوعات الحضارة إلى تصديرها، ومن شراء السلاح إلى صناعته، ومن الاستهلاك إلى الإنتاج.

- ضرورة الاستفادة من الأنموذج الماليزي " مشروع الإسلام الحضاري " والذي يجسد أهمية التمسك بالقيم في النهوض التنموي للمجتمعات المعاصرة، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمعات الإسلامية.

ويبقى عبدَ الرحمنِ بن خلدون واحد من أعظم المفكرين الذين انفرجت عنهم الحضارةُ الاسلامية العربية. وقد كان من سوء حظه، وسوء حظ هذه الحضارة أنه لم يحمل عنه علمَه المبتكرَ طلابٌ نجباءُ يزيدون فيه وينقّحونه ويهذبونه ثم يؤدونه قُدُما إلى أجيال تالية، ولو كان ذلك لاستطاعت الحضارةُ العالمية بعامة والاسلاميةُ بخاصة ان تُحرز فوق ما أحرزت من منجَزات الفكر التنموي، لكنّ ابن خلدون أتى هذه الحضارةَ على الهَرم فنُسب الى غيره من نتائج القرائح ما أبدعه هو وكان أبا عُذرِه.